الفونيمات فوق التركيبية [الفونيمات الثانوية]

م. د. بشرى حسين علي الفضليّ
المديرية العامة للتربية في بغداد/ الرصافة الأولى

الملخص:

إن دراسة الفونيمات فوق التركيبية هي دراسة الظواهر الصوتية الناتجة في السلسلة الكلامية بصفة عامة كالموقعية والنبر والتنغيم ، دراسة لسلوكها في التركيب . وهذه هي دراسة التشكيل الصوتي ، التي تقوم على عاملين:

1- موقع الصوت في الكلمة .
2- وظيفة الصوت في الكلمة .

قلما تخلو لغة من اللغات من هذه الظاهرة ولذلك أكدتها الدراسات الصوتية الحديثة ، فهي ظاهرة تميزية ، تعتمد التغييرات الصوتية التي تظهر في السياق، والتي تخضع لقوانين صوتية معروفة كثرت دراستها في العصر الحديث. إنَّ النبر والمقطع والتنغيم والمفصل هي عناصر البحث في الدرس الفونولوجي.

الفونيمات فوق التركيبية

اللغة مجموعة من القواعد والأنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل، كل جملة منها تقترن بسلسلة من الأصوات، والجملة تتألف من مجموعة من الكلمات، ومعنى الجملة يتوقف على معاني الكلمات التي منها تتألف، وعلى الطريقة التي بها تتركب وتنتظم.

ومن النادر جداً في اللغات الواقعية أن يظهر صوت في حالة منفردة، فاللغة مبنية من وحدات صغيرة تتجمع لتشكل وحدات أخرى أكبر منها، والذي نسمعه حين ننصت، والذي ننتجه حين نتكلم هو سلاسل من الأصوات تتفاوت طولاً، ولكنها مركبة دائماً[1].

ويرى المحدثون إن ((دراسة اللغة تخضع لقوانين معينة في تجاورها وارتباطاتها ومواقعها، وكونها في هذا الحرف أو ذاك، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها أو قلته. ثم دراسة الظواهر التي لا ترتبط بالأصوات (الصحاح والعلل) من حيث هي، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة، كالموقعية والنبر والتنغيم، ودراسة الأصوات

من هذه النواحي الأخيرة دراسة لسلوكها في مواقعها أكثر مما هي دراسة للأصوات نفسها، وتلك هي دراسة التشكيل الصوتي))[2].

يقول تروبسكوي: ((علم دراسة أصوات الكلام هو علم الكلام في التشكيل الصوتي)). ويقول كانتينو: إنَّ دراسة علم الأصوات هي دراسة للظواهر الصوتية والتشكيل الصوتي، وهي دراسة لوظائف الأصوات [3].

ويرى د. تمّام حسان: إن الموقع والوظيفة أهم عاملين من عوامل التشكيل الصوتي:

- موقع الصوت في الكلمة.
- وظيفة الصوت في الكلمة[4].

وتعد القوانين الصوتية التي تحدد تأثير الأصوات في بعضها البعض من الأنماط الصوتية.

ويرى د. منصور بن محمد الغامدي أن ((لكل لغة أنماطها الخاصة بها إضافة لاشتراكها مع لغات أخرى في أنماط موحدة))[5].((فالمقابلة بين مجهور ومهموس، ثم مفخم ومرقق، ثم صحيح وعلة، ثم شديد ورخو، ومركب ومتوسط ، ثم بين طويل وقصير، وبين مخرج ومخرج آخر، وبين النبر وعدمه، وبين اللحن الأول واللحن الثاني، كل أولئك وما يتصل به من فهم دلالة كل مقابل من هذه المقابلات هو الأساس الذي ينبني عليه التشكيل الصوتي))[6].

وقد عَدَّ دكتور تمّام حسّان التفخيم والترقيق من الظواهر الفنولوجيا (التشكيل الصوتي)؛ لأنه يعتمد على صفة تمييزية[7].

مصطلح الفونولوجيا[*]

ظهر مصطلح ((الفونولوجيا)) في حدود العام 1850م، على لسان العالم الأمريكي وايتني (Whitne) ت 1894[8] ويعبر عن الفونولوجيا بـــ (علم الفونيمات)[**] أو الفونيميك، مثلما يعبر عن علم الأصوات (فوناتيكس) أو فوناتيك بـــ (الصوتيات).

وورد في معجم ((اللسانيات)) " لجورج مونان " في ترجمة المصطلح (FHONEMATIQUE) (دراسة الفونيمات) كما ترجمه الدكتور جمال الحضري[9].

ترجم مصطلح الفونولوجيا (Phonologe) ترجمات كثيرة أشهرها:

1- علم وظائف الأصوات:

ورد هذا المصطلح لأول مرة في كتاب المستشرق الفرنسي ((جان كانتينو)) في كتابه (دروس في علم الأصوات اللغوية) الذي صدر العام 1941 باللغة الفرنسية. نقله الدكتور صالح القرمادي إلى العربية، وصدر العام 1965.

ويرى الدكتور كمال بشر أنَّ مصطلح (علم الأصوات اللغوية) من عمل الدكتور محمد أبو الفرج؛ لأنَّه ورد في كتابه ((مقدمة لدراسة فقه اللغة)) وهذا الرأي غير دقيق؛ لأنَّ ورود المصطلح في كتاب (دروس في علم أصوات اللغة العربية)[10] لكانتينو يفند هذه المزاعم، علماً أن كتاب (فقه اللغة) لمحمد أبو الفرج صدر في العام 1966م.

ولا أستبعد أن يكون محمد أبو الفرج قد اطّلع على كتاب (دروس في علم أصوات اللغة العربية) لكانتينو قبل ترجمته إلى العربية واستوحى الترجمة من الكتاب المذكور، علماً انَّ أكثر الباحثين في مصر يجيدون اللغة الفرنسية.

ويرى د. كمال بشر أنَّ مصطلح ((علم وظائف الأصوات)) ترجمة موفقة يقول: ((هي أحسن ترجمة للمصطلح فونولوجي على أساس أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها ومن حيث إخضاع المادة الصوتية للتقعيد))[11].

وجعل الدكتور عصام نور الدين مصطلح (علم وظائف الأصوات) عنواناً لكتابه، مقروناً بتعريبه إلى فنولوجيا ويرى أنّها أكثر توفيقاً من بقية الترجمات؛ لأنَّها لاحظت تعريف (الفنولوجيا)[12].

2- علم الأصوات التنظيمي:

أي التي يُدرس الأصوات اللغوية، وهي منتظمة في كلمات، ورد هذا المصطلح في كتاب (العربية الفصحى) للمستشرق ((هنري فليش)) الذي صدر في العام 1966 في القاهرة، وترجمه د. عبدالصبور شاهين[13].

وقد جعل ((فليش)) المصطلح عنواناً لبحث نشره في مجلة ((إسلاميكا)) نُشر في العدد الثاني سنة 1934م بعنوان: (ملاحظات على الدراسة الصوتية التنظيمية في العربية الفصحى)[14].

3- علم التشكيل الصوتي:

استعمل المصطلح المستشرق (شاده)، أطلقه على العلوم الخاصة بتعاملات الأصوات في السياق (التشكيل الصوتي)، وذلك في المحاضرة التي ألقاها في الجمعية الجغرافية في القاهرة العام 1931م[15].

ثم استعمله الدكتور تمّام حسّان في كتابه ((مناهج البحث في اللغة)) وقد جعل الدكتور سلمان العاني التسّمية عنواناً لكتاب له في الفونولوجيا هو (التشكيل الصوتي في اللغة العربية / فنولوجيا العربية).

4- علم الأصوات التشكيلي:

أي الذي يدرس الأصوات ضمن التشكيل. وهو ترجمة الدكتور عبدالصبور شاهين وردت في كتابه (المنهج الصوتي للبنية العربية)[16].

- **علم الأصوات الوظيفي:** وهي ترجمة الدكتور محمد السعران وردت في كتابه (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي)[17].
- **علم الصوتمية:** وهي ترجمة الدكتور عبدالسلام المسدي، وردت في قاموسه ((معجم اللسانيات))[18].
- **علم الأصوات النظمي أو التركيبي:** (أي الذي يدرس الأصوات اللغوية وهي منظمة أي مركبة في كلمات) أو الوظيفي[19].

وهناك مصطلحات أو ترجمات أخرى وردت في كتب المحدثين للتعبير عن هذا العلم منها: **(علم الأصوات التاريخي ، وعلم النطقيّات).**

لم يتفق الغربيون على مصطلح واحد للتعبير عن الفونولوجيا، وتباين المحدثون العرب في اختيار المصطلح المناسب ولم يتفقوا على ترجمة موحدة له، وذلك لتباين المنابع اللغوية التي استقى منها هؤلاء واختلاف مداركهم اللغوية والمناهج التي انتهجوها في دراستهم.

ويجري تخصيص مصطلح (فونولوجي) للدراسة التي تصف وتصنف النظام الصوتي للغة معينة، أما المصطلح (فوناتكس) أو (فونتكس) فيقتصر على دراسة أصوات الكلام مستقلة عن تعديلات نماذجها، وعلى اتجاهاتها في لغة معينة، ودون نظر إلى وظائفها اللغوية، أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها[20].

التغيرات الصوتية في السياق:

من أهم ما يتعرض له الصوت اللغوي في سياق الكلام تلك الظواهر التي يسمونها (ظواهر الدمج) ومن أهمها:

1- الانتقال الديناميكي.

2- التضعيف[***].

3- التقصير والتخفيف.

4- الحذف.

5- الوصل.

6- التغييرات التكيفية أو التلاؤمية(****). وهي ميل الاصوات للتباعد أو التخالف (المخالفة والمماثلة). وقد صارا نظامين من أهم قوانين الأصوات[21].

إذ تكتسب أصوات الكلمة الواحدة، وأصوات الكلمات في اثناء الكلام صفات جديدة وخصائص لفظية؛ وذلك نتيجة عادات نطقية متوارثة، وانفعالات نفسية تؤثر في جهر أصوات الكلام والتنغيم في مقاطع الكلام صعوداً وهبوطاً، كما تؤثر في تركيب النغمات المتتابعة في المجموعة الكلامية[22].

ويلجأ علماء الأصوات في دراسة سلسلة الكلام إلى تجزئتها الى فونيمات Phonèmes أو إلى ألفوونات منفصلة Vavianres ou Alophones، ثم يعمدون إلى تقسيم الفونيمات على نوعين:

النوع الأول: الفونيمات الرئيسة: Phonèmes Primaies أو الأساسية:

وهي الوحدة الصوتية التي تكون جزءاً من أبسط صيغة لغوية ذات معنى، منعزلة عن السياق أو هي، ذلك العنصر الذي يكون جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، في (الدال، والراء، والسين) التي تشكل فونيمات كلمة (درس) ولذلك اطلقوا عليها "الفونيمات التركيبية". Phonèmes Segmentaux // Segmental phonèmes.

النوع الثاني: الفونيمات الثانوية: Secondaives phonèmes: :

وهي ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام الإنساني المتصل. فالفونيمات الثانوية، بعكس الفونيمات الأساسية لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، فهي ليست الدال أو الراء أو السين. أنها تظهر وتلاحظ عندما تُظم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة، كأن تستعمل جملة وذلك كقولك: (إذا كنت ظمئاً "الماءَ"....

- فمن الممكن أنك تطلب الماء... "أريد ماءً".

أو تنفعل من رؤيته... فتصرخ قائلاً "الماءَ" أي "وجدتُ ماءً أشربه".

- أو إنك تستفهم "الماءَ؟" بمعنى "أريد ماءً".

أطلق علماء الأصوات المحدثون على هذا النوع من الفونيمات الثانوية اسم "فونيمات فوق التركيب"[23]. ويطلق اسم phonèmes "بروزوديم" على الوحدات فوق القطعية. ويمكن ترجمة هذا المصطلح باللفظ "مُنِغَم" قياساً على مَصوَتِ"[24].

وقد ترجم العالم " جورج مونان " في معجمه "معجم اللسانيات" مصطلح prosodème بـــ(فونيم فوق مقطعي)، مؤكداً بأنه "مصطلح يستعمله بعض اللسانيين للإشارة إلى كل وحدة عروضية رغم اختلافات الطبيعة والوظيفة التي يمكن أن تكون بينهما (ولا سيما في مختلف أنواع النبرات والمنغمات)، عامل وحدتها الوحيد هو المشكل من طابعها فوق المقطعي"[25]. وأكد د. عبد القادر الفاسي الفهرسي في معجمه على ان لـــprosadic هو (صواتة تطريزية عروضية)، واطلق مصطلح صِواتة على Phonology[26].

وتحدث "أندريه مارتيني" عن طبيعة الوقائع الفومقطعية المادية: يقول: "تندرج في اطار الفومقطعية كل وقائع الكلام التي لا تدخل في نطاق التحليل الفونيمي أي التي تخرج بشكل أو بأخر عن نطاق الانبناء الثاني، وهي مادياً وبصورة عامة وقائع صوتية حاضرة بالضرورة في كل إيضاح سواء أكانت القوة التي تنطق بها ملحوظة أم ضعيفة، فهي دائماً موجودة وعلى درجة معينة"[27].

ومن أهم الفونيمات فوق التركيبية:

- النبر Strèst
- المقاطع Syllables
- التنغيم Melody
- المفصل Joncture

فالفونيم، والمقطع، والنبر، والتنغيم، والمفصل هي عناصر البحث في الدرس الفنولوجي، وهي تمثل تنوعات صوتية خاصة.

وعدّ المحدثون " هذه العناصر قطب الرحى في الدراسات الفنولوجية"[28].

وتقسم الفونيمات في اللغة العربية على قسمين، منها التي تستعمل للتفريق بين معاني المورفيمات، إذ إنَّ وظيفتها تكمن في التفريق بين الألفاظ كـــ(مات) و(بات). وهو الذي يسميه المحدثون الفونيمات التركيبية أو الجزئية.

أما النوع الثاني، فهو الفونيمات فوق التركيبية، أو فوق الجزئية. وهي عناصر صوتية سياقية تقوم أيضاً بالتفريق في المعنى معجمياً أو صرفياً.

يقول المستشرق "هنري فليش" : أنّه يمكن حصر النظم النحوية التي أسفر عنها البحث اللغوي في اللغة العربية في ستةِ نماذج وهي[29]:

1- نظام الكلمات.
2- التركيب
3- الإلصاق (وهو استخدام السوابق واللواحق والزوائد المتوسطة).
4- التعديل الداخلي للأصل (الاشتقاقي) أو للعنصر النحوي، سواء أكان ذلك في المصوتات أم الصوامت.
5- التضعيف.
6- اختلافات النبر. سواء أكان ديناميكياً متفاعلاً (وهو الناتج عن درجة النشاط في النطق) أم موسيقياً، وهو (العلو الموسيقي).

وحدد "سابير" كما نقل "هنري فليش" عنه "التضعيف" بأنه (هو تكرار الاصل الاشتقاقي كله أو بعضه)[30] ويرى "هنري فليش" أن التضعيف التغييرات الداخلية[31].

وطرح "هنري فليش" تسأولاً عن نصيب اللغة العربية من هذه النظم العامة المختلفة. ويرى أن النموذج الرابع وهو (التعديل الداخلي) يشغل اهتمامنا، ولا سيما الطرق الخاصة به من مثل: مد المصوتات القصيرة وتضعيف الأصوات الصامتة – أي ازدواج صوتين متتاليين – في الأصل الاشتقاقي فهي كلها مسائل جوهرية ذات قيمة عالية[32].

وقد تنوعت الوحدات الفوق مقطعيّة إلى أنواع متعددة أهمها:

1- النبر (Stress)
2- النغمة (Tone)
3- التنغيم (Intonation)
4- المفصل (Juncture)
5- الطول (Lengh)

دراسة بعض الظواهر الفوقطعية:

تشكل دراسة وتحليل الظواهر فوق القطعية أو التطريزية، ونعني بها بشكل أساسي ظواهر مثل النبر والتنغيم والإيقاع، مجالاً واسعاً للبحث في الدراس اللساني الحديث.

1- النبر (Accent //Stress)

النبر وسيلة صوتية نبرز بواسطتها عنصراً من السلسلة الصوتية قد تكون مقطعاً أو لفظاً أو جملة، والنبر يكون بواسطة الشدة في النطق أو الارتفاع النغمة أو المد[33].

والنبر هو الضغط والتركيز على صوت من الأصوات لإبرازه في غاية الاهمية، والتأثير على السامع[34].

وقد تعددت تعريفات العلماء لهذه الظاهرة والعامل المشترك بين هذه التعريفات هو أن النبر يمثل بروز لأحد مقاطع الكلمة، فيميزه عن غيره سمعياً[35].

إن المتكلم قد يميل إلى الضغط على أحد مقاطع الكلمة، ليجعله أكثر قوة ووضوحاً في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط ما اصطلح على تسميته بالنبر ومفهوم النبر عند الدكتور ابراهيم أنيس نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، فعند النطق بالمقطع المنبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط من الرئتين حتى الشفتين ولاسيما إذا كانت عناصر المقطع كلها أصواتاً مجهورة[36].

وعرّف الدكتور تمّام حسّان النبر بأنه "موقعية تشكلية ترتبط بالموقع في الكلمة أو المجموعة الكلامية وحَدَّه أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا ما قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل من عوامل الكمية والضغط والتنغيم"[37].

وبهذا التعريف قنع الدكتور كمال بشر ورأى أنَّ المقاطع تتفاوت فيما بينها في النطق قوة وضعفاً، فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكبر نسبياً من غيره في السياق الصوتي، ويتطلب مجهوداً أشد، وعلى وفق النبر في المقطع وضعفه قَسّم الدكتور كمال بشر النبر على ثلاث درجات:

1- النبر القوي: ومثاله المقطع الأول من (ضَرَب، وكَاتِب) أي (ضَ) و(كَا)، والمقطع الأخير من كلمة (مضروب) أي المقطع (رو) ويرمز له بعلامة [ ].
2- النبر الوسيط: ويقع على المقطع (مُسْ) من كلمة (مُستحيل) والقوي على المقطع الخير (حيــْ).
3- النبر الضعيف: وهو دون القوي والمتوسط في قوة الإسماع ويترك بلا علامة[38].

وقد أطلق بعض المحدثين على النبر القوي والوسيط مصطلحي: (النبر الأولي أو الرئيسي والنبر الثانوي)[39].

الوظائف اللغوية للنبر

1- يسمى النبر الذي يقع على مقاطع الكلمات (النبر الصرفي) أو (النبر الكلمة) وقد لاحظنا انه يقع على البنية المقطعية في نظام الصرف، ووظيفته هي "تقديم القيم الخلافية التي تفرق مع الكمية بين بمعنى صرفي ومعنى صرفي آخر"
2- ويسمى النبر الذي يقع على الكلمات ضمن سياق الجمل بـــ(النبر الدلالي) أو (نبر الجمل) وفيه يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها[40] تمشياً مع الخطوط العريضة للمعنى ومع أهمية الكلمة فنقول لمنكر الفعل "انت فعلت

هذا" النبر على فعلت، ويقول للمقر بالفعل ولكنه ينكر المفعول (انت فعلت هذا) النبر على هذا[41].

ونبر الجملة شائع في كثير من اللغات ففي جملة (هل سافر اخوك أمس؟) يختلف الغرض منها باختلاف الكلمة التي يزيد نبرها فحين نريد نبر كلمة (سافر) فالمعنى إن المتكلم يشك في حدوث السفر مع اني السامع، مراد ضغط المتكلم مع كلمة (أخوك) فهم المتكلم انه لا يشكك في حدوث السفر وانما يشك في فاعل السفر، فربما كان أباه أو عمه أو صديقه، وإذا نبر كلمة (أمس) فهم من الجملة أنَّ الشك في تاريخ السفر[42].

والنبر يعطي قوة الصوت، وفعل تأثيره في الأصوات المجاورة في الكلمة واضحاً ويكون مكانه في اللسان الناطق أوضح من غيره من الأصوات[43].

ويستعمل النبر في بعض اللغات النبرية كفونيم يمكنه التميز بين المعاني كما في الانكليزية، كما أكدت الدراسات الحديثة.

ويرى د. يحيى الجبوري أنّه "إذا كان النبر يستعمل في بعض اللغات النبرية كفوينم يمكنه التمييز بين المعاني كما في الانكليزية، فإنّه في مجموعة اللغات غير النبرية لا يقوم بتلك الوظيفة ومنها العربية"[44].

وقد حاول احد الباحثين ربط النبر بوظيفة الميزان الصرفي لمنحه أثراً وظيفياً في التمييز بين المعاني وأسماه (نبر الصيغة) ورأى أن النبر في الأوزان يمكن أن يأخذ موقعاً ثابتاً لا يتغير في أمثلة هذه الصيغ واكد المحدثون أمثلة ذلك من الصيغ في اللغة العربية كما فعل د. تمام حسان بقوله: "فالصيغ (فَعَل- فَعْل وفاعل اسماً وفعلاً) يقع النبر فيها على فاء الكلمة وكذلك في امثلتها (كَتَبَ- عَلَّمْ، وجَاهِد، قائِم). وما جاء على وزن مفعول يقع النبر على عين الكلمة نحو (مغلوب ومفهوم)"[45].

ولم يعول المحدثون على فكرة ربط (نبر الكلمة) اعتماداً على ربطها بالمباحث الصرفية ويرى أنها تبقى قاعدة جزئية لا يمكن تعميمها على أوزان الصيغ كلها شأنها شأن قواعد النبر التقريبية في النطق العربي الحديث[46].

ويرى د. يحي الجبوري إن هناك إشكالية أخرى في التسليم لهذه الفكرة (فكرة الربط) معللاً ذلك بقوله: "قد تتعرض أوزان الصيغ وامثلتها إلى تغيرات بفعل تأثير الاصوات بعضها في بعض في النظام الصوتي، وهذا يسبب تغيّر مواضع النبر في تلك الصيغ"[47].

واكد المستشرق "جان كانتينو" على الوظيفة التمييزية للنبر بقوله: "ويلعب نبرة الكلمة في اللغات الهندو – أوربية القديمة دوراً تمييزياً: فقد تميّز هذه النبرة بين الصيغ

النحوية أو بين الكلمات وذلك بحسب مكان وقوعها منها أو بحسب جنسها، ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون والاتينيون مسألة نبرة الكلمة الموسيقية ومكانها وخلافاً لذلك لم نرَ في العربية أن نبرة الكلمة قد لعبت دوراً تمييزياً يذكر ولذلك سكت النحاة عنها"[48].

وذهب المستشرق "هنري فليش" إلى إنّ نبر الكلمة في العربية هي معرفة حديثة ارتبطت بالدراسات الصرفية[49].

النبر في اللغة العربية:

حدّد ابن منظور النبر بقوله "والنبر مصدر الحرف ينبره نبراً: همز والنبرة بالكلام: والهمز. والهمز: مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام، لأنه يضغط. وقد همزت الحرف فانهمز ... يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها علو، ونبرة المغني: رفع صوته عن خفض، والمنبر: مرقاة الخاطب، سمي بذلك لارتفاعه وعلوه"[50].

والنبر عند العرب: ارتفاع الصوت، ونبر فلان نبرة نطق نطقة بصوت مرتفع[51] واكد المحدثون أنَّ النبر عند علماء العربية القدماء يعني الهمز وعلوَّ الصوت أو ارتفاعه[52] وأكد د. رشيد العبيدي إن النبر مصطلح عرضه علماء العربية، وفهموه على إنّه رفع الصوت فيقال نبر الشيء إذا رفعه، ومنه سميّ (المنبر)، لأنه مكان رفع الصوت[53].

ونجد في تحديد القدماء لمصطلح النبر شيئاً يكاد يكون قريباً من تحديد علماء اللغة المحدثين لهذا المصطلح.

فالنبر عند المحدثين هو مصطلح صوتي يعني الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة ليجعله بارزا في السمع من غيره من مقاطع الكلمة.

ويرى المستشرق "هنري فليش" أن نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب، بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم والسبب كما يرى "هنري فليش" "أن نبر الكلمة لم يؤد اي دور في علم العروض العربي، وهو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحددة، فهو على هذا كميّ، وقد لزم واضعوا هذا العروض الصمت ازاء موضوعه تماماً، كما فعل النحاة، وقفى على أثرهم المؤلفون في علم التجويد"[54].

وخالفه المستشرق "جان كانتينو" الذي يرى: "أن نبر الكلمة في العربية الفصحى معروف، وأن كانت حقيقة هذه النبرة مجهولة، ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة التالية في هذا السياق تقع النبرة على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها وإذا خلت الكلمة

من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الأخيرة وذلك نحو قولهم :- (يقاتلوا) و(قاتل) (ولم يقاتلوا) النبرة على (قا)"[55].

واكد (جان كانتينو) أن هذه القاعدة لا تعتمد في الحقيقة على أية رواية قديمة إذ لم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا لغتهم بدقة بلغت ما بلغت ولا مصنفوا كتب التجويد الذي فاضوا في أدق دقائق القراءة القرآنية[56].

وخلاصة ما ذهب إليه المستشرقان "هنري فليش، وجان كانتينو" إن القواعد المقررة عن مكان النبرة قد استوحاها المستشرقان "كيرستن" (Kirsten)، "واربنيوس" (Erpenius) في بداية القرن السابع عشر من سماعهما للمثقفين المصريين في اوائل القرن السابع عشر[57].

وأكد الدكتور رشيد العبيدي إن النبر، بوصفه مجالاً صوتياً، لم يتناوله الباحث العربي في دراساته اللغوية، لكن استخدامه في منطقهم واضح، وذلك إذا احتاجوا للتفريق بين المعاني واغراض الكلام[58].

والسؤال هو متى لم يحتج العربي إلى التفريق بين معاني كلماته وجمله. مما لا شك فيه أن العربي في كل أوقاته وأزمانه محتاج لتبيين عباراته وجمله، اثناء الكلام ليبين مقاصده في الكلام.

النبر والتنغيم

ومن البحوث التي يتناولها علم الأصوات التشكيلي (الفونولوجي) ظاهرة النبر والضغط (Stress) أو (Accent) ، وهاتان الظاهرتان تسهمان اسهاماً كبيرا في انتاج المعنى وتحديد الدلالة . ويتناول علم الأصوات التشكيلي ظواهر النبر ، والتنغيم ، وطول الصوت ، وقصره في بعض السياقات –سواء أكان طوله صفة أساسية له أم صفة عارضة – ودراسة سلوكها داخل التركيب .

التنغيم: وحدة من الوحدات فوق المقطعية (فونيمات ثانوية) أي فوق تركيبية.

التنغيم لغةً: يقول ابن فارس: " النون والغين والميم ليس إلاّ النغمة : جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة ، وغيرها وهو النغم ، وتنغم الإنسان بالغناء ونحوه"[59].

أما في الاصطلاح: فهو " الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق"[60].

فالتنغيم بهذه الآلية يعتمد على إيقاعات باختلافها تختلف في الدلالة المقصودة من الكلام حتى الإعراب له نصيب من ذلك الاختلاف ؛ لأن العربية لغة تنغيمية ، وإن التنغيم يقع فيها على مستوى الجملة والكلمة[61] .

وقد اختلف الباحثون المحدثون عن القدماء في تسمية هذه الظاهرة ، وقد عزى بعض الباحثين ذلك إلى تباين وسائل دراسة هذه الظاهرة عند الطرفين ، واختلفت المصطلحات التي استعملها العلماء العرب للتعبير عن التنغيم عن مصطلحات المحدثين ، وقد وردت في كتب العلماء العرب مصطلحات متعددة مثل (الجرس ، الترخيم ، والترسل، والترنيم او الترنم ، والضغطة ، والتطويح ، والتطريح ، والنغمة) ، والتي تفصح عن معنى واحد هو التنوع النغمي الذي يصاحب الكلام ويؤدي الى اختلاف المعاني والمقاصد .(62)

أما المحدثون فاطلقوا على التنغيم مصطلحات أخرى مثل التشكيل الصوتي : وهو النظر في وظيفة الصوت وقدرته في تأدية معاني الكلام . والنبر الموسيقي، وموسيقى الكلام، والنغمة الموسيقية .(63) هذه التسميات الثلاث تدل على النغم الموسيقس المصاحب للجملة او الجمل التي ينطقها المتكلم والتي يعبر بها عن المعاني النحوية والمقاصد الدلالية التي ينوي التعبير عنها .

ويجمع التنغيم عنصريَّ اللغة (الصوت والدلالة) ومتى ماانفك الصوت عن النغم النفسي القصدي ، ذهبت الدلالة " فعادة ما ينوع النغم الدلالي النطقي للإنسان ؛ نتيجة عوامل نفسية تصدر عن المرسل "(64) .

ويعد التنغيم قرينة صوتية وهي صنف من أصناف الدلالة ، وظيفته إدراك المعاني والكشف عن الأصول والمسائل الذهنية والتصورية التي تكمن في ذهن المتكلم .

"ويقع التنغيم على مستوى الجملة أو ما كان في حكمها ودلالته تركيبية تعود إلى الدلالة العامة للجملة (الإخبار ، الاستفهام ، التعجب ...) وله وظيفة أخرى ، هي بيان مشاعر المتحدث من دهشة ورضا وسخط وازدراء "(65) .

وللتنغيم وظائف تركيبية ودلالية أهمها (66) :

1- التنغيم يفسر المعنى النحويّ ، وهو المسؤول عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها ، ومن ذلك (أولئك الرجال المناضلون) ، وقد تكون (اولئك الرجال) إما عنصراً واحداً مبتدأ (مبدل منه وبدل) و (المناضلون) خبره ، فإذا وقفنا على (اولئك) بمفردها كانت مبتدأ ، و (الرجال) خبراً ، و (المناضلون) نعتاً ، وما أحدث هذا التغيير في الإعراب والعناصر النحويّة إلا التنغيم.

2- قد تؤدي النغمة في المعنى مؤدى الصيغة في الصرف فالصيغة الصرفيّة التنغيمية منحنى نغميّ خاص بالجملة ، يعين على الكشف عن معناها اللغويّ ، كما اعلنت

الصيغة الصرفيّة على بيان المعنى الصرفيّ للمثال ، فإذا قلت : (هي جميلة جداً) بنغمة صوتيّة (صاعدة – هابطة) حتى آخرها فإننا نعني بذلك جملة خبريّة ، ولكن إذا قلنا بنغمة (هابطة–صاعدة) فإن المعنى يختلف مع ان الصيغة واحدة فتكون استفهاميّة، ومن ثم يعد التنغيم جزءًا من المعنى الدلاليّ .

3- يؤدي التنغيم بعض الأدوات عند حذفها ، ومن ذلك نغمة الدعاء في قول الداعي (لاشفاك الله) بدون الواو اعتماداً على تنغيم الجملة بالوقف والاستئناف .

ويمكن ايجاز وظائف التنغيم بالاتي :

1- الوظيفة الابلاغية : تظهر اكتمال المعنى في الكلام وهل الكلام نفي أو تعجب أو استفهام .

2- الوظيفة التعبيرية : تعبر عن شخصية المتكلم وتفصح عن درجة انفعاله .

والتنغيم ظاهرة صوتية تشترك فيها معظم اللغات ؛ لأنها تؤثر في تغيير الدلالة دون أن تتغير المفردات . وقد أنكر بعض المستشرقين وجود هذه الظاهرة الصوتية في اللغة العربية وهو رأي المستشرق الألماني "براجستراسر" الذي نفى وجود الظاهرة في اللغة العربية قائلاً : "نتعجب كل التعجب ، من أن النحويين والمقرئين القدماء ، لم يذكروا النغمة ولا الضغط اصلاً، غير ان أهل الإداء والتجويد خاصتاً رمزوا الى ما يشبه النغمة، ولا يفيدنا ما قالوه شيئاً ، فلا نص نستند عليه في اجابة مسئلة : كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن ؟"[67].

وعلى الرغم من أن "براجستراسر " انكر التنغيم في العربية الفصحى الا انه اكد وجوده في اللهجات العربية الدارجة في العصر الحديث .[68]

إلا أن التراث اللغوي العربي مليء بالشواهد والأدلة على تجذر هذه الظاهرة الصوتية في العربية على مستوى التركيب ، واستناداً إلى معايير علمية وتحليلية[69] .

ويفند مزاعم "براجستراسر" نص ورد في الخصائص فيه حديث عن النبر والتنغيم، قال ابن جني :" وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك انك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ بـــ (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن في تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها،أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك " .[70]

ففي هذا النص نجد في كلمات التطويح والتطريح والتفخيم ، التي ذكرها ابن جني انسجام في معانيها اللغوية حول تطويل الصوت ورفعه وفي هذا التقاء مع معنى النبر في مفهومه الحديث ، وهو العملية العضوية التي يقصد منها ارتفاع الصوت وعلوه .

واللغة العربية لغة تنغيمية في مواضيعها من استفهام ، وإخبار متعدد ، وتوبيخ ، ونداء ، وتعجب ، فهي بهذه الأساليب تتأثر بالتنوع الصوتي من طريق نحو كلامها أو إعراب ألفاظها " ففي الصوت الداخل على الجملة يكون هذا التنوع حاكماً لأوجه في الجملة من استفهام وتقرير ... وبالتطرق لتعريف التنغيم نجد عملية داخلة على الصوت ويحكمها أو يميزها في أدائها هو الارتفاع والانخفاض والتغيير الذي يحصل على مستوى الأداء ... ونجد أن في الارتفاع والانخفاض عوامل تترتب جراء ذلك من تنويع ، فمخرجات الكلام في إعرابها ودلائلها للحروف الملفوظة داخل الجهاز النطقي مع الهواء والصوت لا يمكن إن تكون على مستوى واحد ثابت في الحروف والإداءات "[71] .

فالتنغيم فونيم فوق تركيبي ؛ لأنه يعمل على تغيير معنى الجملة دون أن يؤثر في تجسيد الصوامت أو الصوائت وهو كونه معداً من الوحدات الصوتية أو من الفونيمات فوق التركيبية فله أثرٌ بالغٌ في تشكيل موسيقى تحصيل الكلام على شكل نغمات ذات انخفاض وارتفاع مختلفين مسهمة بشكل فعّال في التشكيل النطقي للجملة[72] .

الخاتمة والنتائج :

إنَّ دراسة الفونيمات فوق التركيبية تقوم على أُساس موقع الصوت في الكلمة ، أُو الجملة ، وهي ظاهرة تمييزية توجد في أغلب اللغات العالمية ، وتعتمد على التغييرات الصوتية التي تظهر في التراكيب وبها تتوضح المقاصد الكلامية .

النتائج :

1- إنَّ الدراسة الفنولوجية هي دراسة وظيفية تقوم على دراسة الظواهر الصوتية التي تظهر في التركيب (التشكيل الصوتي).

2- إنَّ دراسة الظواهر الفنولوجية تكون محكومة بقوانين صوتية ، جرى المستشرقون على تسميتها بالأنْماط الصوتية .

3- ترجم المستشرقون والمحدثون العرب مصطلح الفنولوجية ترجمات متعددة ، تختلف باختلاف المنابع اللغوية التي نهلوا منها .

4- يُعد النبرو التنغيم من اهم الظواهر الفومقطعية ، والتي تقوم على الانتقال الديناميكي بين الاصوات في الكلمات داخل التركيب صعوداً وهبوطاً .

5- يمثل النبر بروزاً لأحد الأصوات أو المقاطع في الكلمة يميزه عن غيره سمعياً ،والنبر نوعان: - النبر الصرفي . - النبر الدلالي . وكلاهما يلعب دوراً بارزاً في تمييز المعاني .

6- عرف العرب النبر وهو عندهم ارتفاع الصوت بالكلام ، وهذا المفهوم مقارب لما ذهب اليه المحدثون في تعريف النبر ، والذي يعني عندهم الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة ليجعله بارزاً في السمع من غيره من مقاطع الكلمة .

7- انكر بعض المستشرقين معرفة العرب بالنبر مستدلين على ذلك بعدم وروده في علم العروض العربي ، وماذكروه خلاف للواقع ، فقد عرف العلماء العرب النبر وهو عندهم العلو في الصوت أو الهمز أي نبر الصوت .

الهوامش

(1) علم الأصوات: 111، مارتيل مالمبرج، تر: عبدالصبور شاهين.

(2) مناهج البحث في اللغة: 139، د. تمّام حسان، ومصدره Ibid، p.12 .

(3) دروس في علم أصوات اللغة العربية: 139، جان كانتينو.

(4) ينظر: مناهج البحث في اللغة: 142.

(5) الصوتيات العربية: 110.

(6) مناهج البحث في اللغة: 140.

(7) ينظر: المصدر نفسه.

(*) **الفونولوجيا:** هي تعريف للمصطلح الإنكليزي Phonologe لا المصطلح الفرنسي Phonologie الذي يغلب إطلاقه عند الفرنسيين وبخاصة في البحوث التقليدية وعلم الدراسات الصوتية والوصفية (Phonologie des Crip tire) في مقابل التاريخية التي يسمونها (Phonetigue historigue) ، سواء أكانت صرفة أم فونتيكية وفونولوجية معاً.

(8) علم اللغة العام/ الأصوات، كمال بشر: 28.

(**) الفونولوجيا وعلاقتها بالنظم في القرآن الكريم: تمام حسان: ص118؛ وعلم اللغة: 29، كمال بشر؛ وعلم الأصوات: ص167.

(9) معجم اللسانيات : 333.

(10) ينظر: 15.

(11) علم الأصوات: 14.

(12) ينظر: علم وظائف الأصوات/ الفنولوجيا: 25.

(13) ينظر: 36.

(14) ينظر: العربية الفصحى: 29.

(15) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: 47.

(16) ينظر: 24.

(17) ينظر: 161.

(18) ينظر: معجم اللسانيات: 131.

(19) المختصر في أصوات اللغة العربية: 32.

(20) ينظر: الألسنة والتحليل الفونولوجي: د. موسى أسعد عجمي: 17.

(***) "Lagèmination" يعني في اللغة العربية ازدواج صوتين صامتين متماثلين متواليين.

(****) يسمَّى د. عبد العزيز علاّم (النبر والتنغيم والايقاع) ملامح ادائية.

(21) ينظر: علم الصوتيات : 300–306، د. عبد العزيز علاّم.

(22) علم وظائف الأصوات اللغوية : 78–88 و 206.

(23) علم وظائف الأصوات: 88–89، وينظر: علم الأصوات، 135و 142.

(24) الصوتيات والفنولوجيا : 36، د. مصطفى حركات.

(25) معجم اللسانيات : 332.

(26) ينظر: معجم المصطلحات اللسانية : 270.

(27) مبادئ ألسنية عامة : 95–96؛ وينظر: وظيفة الألسن وديناميتها، اندريه مارتيني، 95–96، ترجمة نادر السراج، دار المنتخب العربي، بيروت– لبنان، ط1، 19960.

(28) الفنولوجيا وعلاقتها بالنظم في القرآن الكريم : 27، د. محمد رزق شعير، تقديم: د. تمام حسان.

(29) العربية الفصحى : 29.

(30) العربية الفصحى: 30، ومصدره ادوارد سابير Lelangage،74 p. .

(31) ينظر: نفسه : 29.

(32) العربية الفصحى :30.

(33) الصوتيات والقنولوجيا: 40، د. مصطفى حركات، المكتبة العصرية، بيروت.

(34) الألسنية والتسهيل في التحليل: ط1، 1998، ص ، د. موسى أسعد العجمي.

(35) النبر في القرآن الكريم : 17، د. وليد مقبل السيد ديب، كلية الآداب، جامعة جازان، ط2، 2013.

(36) ينظر: الاصوات اللغوية: 169–170ط.

(37) مناهج البحث في اللغة: 194.

(38) ينظر: علم اللغة/ الأصوات: 162.

(39) مناهج البحث في اللغة: 195–197؛ والتشكيل الصوتي: 134.

(40) ينظر: مناهج البحث في اللغة: 161.

(41) الاصوات اللغوية: 174.

(42) ينظر: الاصوات اللغوية: 174؛ وبحث (النبر في العربية): 258، د. عبد الحسين عبد الله، د. ناهدة محمد محمود، مجلة قبس العربية، عدد3، بغداد، سنة 2006م.

(43) بحث (مباحث في علم اللغة واللسانيات): 83، د. رشيد العبيدي.

(44) مفهوم القوة والضعف: 152؛ ومصدره اللغة العربية معناها ومبناها: 171.

(45) ينظر: اللغة العربية: معناها ومبناها: 171؛ ومفهوم القوة والضعف في اللغة العربية: 153، د. يحيى الجبوري.

(46)مفهوم القوة والضعف في اللغة العربية: 153، د. يحيى الجبوري؛ مصدره دراسة الصوت اللغوي: 308، احمد مختار عمر.

(47)مفهوم القوة والضعف في اللغة العربية: 153.

(48) دروس في علم الاصوات العربية: 195، ترجمة: صالح القرمادي تونس، ط1، 1966م.

(49)العربية الفصحى: 50، دار المشرق، بيروت، ط2.

(50)اللسان: 7/39–40، ابن منظور.

(51)اساليب البلاغة: 614، جار الله الزمخشري.

(52)ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء: 191، د. عبد القادر مرعي؛ بحث (مباحث في علم اللغة واللسانيات)، د. رشيد العبيدي: 92.

(53)بحث (مباحث في علم اللغة واللسانيات)، د. رشيد العبيدي: 92، ومصدره الاساس: (نبر): 928.

(54)العربية الفصحى: 49.

(55) دروس في علم الاصوات العربية: 194–195.

(56)المصدر نفسه: 195.

(57)العربية الفصحى: 50 ، دروس في علم الاصوات العربية: 195.

(58) بحث (مباحث في علم اللغة واللسانيات)، د. رشيد العبيدي: 92، ومصدره الاساس: (نبر): 928.

(59)مقاييس اللغة ، مادة نغم : 452/5 .

(60)اللغة العربية معناها ومبناها : 226 ، تمام حسان .

(61)ينظر: مبادئ اللسانيات : 166 .

(62)ينظر: التنغيم عند القدماء والمحدثين واثره في توجيه المعنى : 22–32 و 43 ، ومصادرها ، ورود شاكر، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد 1914 .

(63)ينظر : علم الاصوات : 209 ، مارتيل مالمبيرج ، تر : عبد الصبور شاهين ، 1985 ، مكتبة الشباب ، القاهرة . والاصوات اللغوية : 175 ، ابراهيم انيس ، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية : 263 ، عبد العزيز الصيغ ، 2000 ، دار الفكر دمشق

(64)التنغيم عند القدماء والمحدثين وأثره في توجيه المعنى: 182

(65)النبر في العربية : 102 .

(66)ينظر : التنغيم عند القدماء والمحدثين واثره في توجيه المعنى : 18عن التنغيم واثره في اختلاف المعنى 8–9

(67)التطور النحوي في اللغة العربية : 72

(68)ينظر : المصدر نفسه : 73

(69)ينظر: التنغيم بين القدماء والمحدثين وأثره في بناء المعنى :123–134 ومصادرها .

(70)الخصائص : 2/371–370

(71)مناهج البحث في اللغة : 188 ، د. تمام حسان .

(72)ينظر: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص : 222 .

Structural on phonemes (Structuraives phonemes)

Dr. Bushra Hussein Ali Al-Fadhli

Abstract

This is study of the voice which produetion genraly from Source of speech example Lecation. Stress and intonation. This study beharera vice in strecture . study phonologe.

1- Lecation sound in the word.
2- Function sound in the word.

All must language has phonolage modern studies phonolage sure its peculiarity innuendo in depend lowvice in the modern age the stress، syllables intonation and tincture . This alements search in lessines phonalage